مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(رومية ٢: ١٠-١٦)

يا إخوةُ المجدُ والكرامةُ والسلامُ لكلِّ من يفعلُ الخيرَ من اليهودِ أولاً ثمَّ من اليونانيين* لأنَّ ليسَ عندَ اللهِ محاباةٌ للوجوه* فكلُّ الذين أخطأوا بدون الناموسِ فبدون الناموسِ يهلِكون. وكلُّ الذين أخطأوا في الناموسِ فبالناموسِ يُدانون* لأنَّه ليس السامعونَ للناموسِ هم أبراراً عند الله بل العامِلونَ بالناموسِ هم يُبرَّرون* فإنَّ الأممَ الذينَ ليس عندهم الناموسُ إذا عملوا بالطبيعةِ بما هو في الناموس فهؤلاءِ وإن لم يكن عندهم الناموسُ فهم ناموسٌ لأنفسهم* الذين يُظهِرونَ عمل الناموسِ مكتوباً في قلوبهم وضميرهم شاهدٌ وأفكارُهم تشكو أو تحتجُّ فيما بينها* يوم يدينُ اللهُ سرائرَ الناسِ بحسب إنجيلي بيسوع المسيح.

حول الرسالة

خطّ الرسول بولس رسالته إلى أهل رومية من مدينة كورنثوس حوالى العام ٥٦. واللافت هنا أنّه يتوجّه إلى رعية لم يؤسسها شخصياً، لكنه، رغم ذلك، يبدو عارفاً بأحوالها جيداً. ويتجلّى هذا في النصائح التي يوجّهها إلى الرومانيين (١٢: ١-١٥؛ ١٣:١-١٤). يظهر أن السبب الرئيسي الذي حدا ببولس إلى كتابة رسالته هذه هو رغبته في إقناع كنيسة الرومانيين بصحة بشارته وكسب عطفهم ودعمهم، ولا سيّما أنّه كان يخطّط لرحلة تبشيريّة جديدة تقوده إلى إسبانيا (١٥:٢٣-٢٤).

يدافع الرسول بولس، في رسالته إلى أهل رومية، عن فكرة مركزيّة تتلخّص في أنّ المسيحيين الآتين من اليهوديّة والوثنيّة إنّما يشكّلون رعيّة واحدة. وتتبدّى أهميّة هذه الفكرة لا انطلاقاً من أنّ كنيسة روما كانت تضمّ، في الوقت ذاته، مسيحيين من أهل الختان ومن اليونانيين (أي الوثنيين الذين لا يختتنون)، بل أيضاً ممّا أثارته بشارة بولس من جدل في الكنائس، وذلك بسبب إعلانه أنّ الراغبين في اعتناق المسيحيّة من الوثنيين غير مضطرين إلى المرور باليهوديّة عبر اختتانهم، بل يستطيعون أن يصيروا مسيحيين مباشرةً، إذا جاز التعبير، بواسطة إيمانهم بيسوع المسيح واعتمادهم على اسمه.

هذه المساواة بين اليهود والوثنيين هي ما يشغل الرسول في المقطع الذي يُتلى على مسامعنا اليوم والمستمدّ من الإصحاح الثاني. وهو لا يُفهم على نحو صائب ما لم نأخذ في الاعتبار أنّ بعض المنتمين إلى الأمّة اليهوديّة كان يتفاخر بالوعود الإلهيّة المعطاة إلى الشعب اليهودي، والتي تعبّر عنها وصيّة الختان وإعطاء الناموس. فالواضح أنّ الرسول يتصدّى هنا للفكرة القائلة بأنّ الناموس يشكّل ضرباً من امتياز لليهود، وذلك بخلاف الوثنيين الذين لا ناموس لهم. إنّ فكرة من هذا النوع تفضي، في نهاية المطاف، إلى التشكيك في عدالة الله. فالله ليس عنده «محاباةٌ للوجوه» (٢:١١). لذا، لا بدّ أن تكون لديه معايير أخرى يدين الوثنيين وفقها من خارج الناموس.

من الواضح أنّ بولس يتطرّق هنا

العدد ٢٠٠٦/٢٦

الأحد ٢٥ حزيران

تذكار القديسة الشهيدة

في البارّات فبرونيه

اللحن الأول

إنجيل السَحَر الثاني

الإنجيل

(متى ٤: ١٨–٢٣)

في ذلك الزمان فيما كان يسوعُ ماشياً على شاطئِ بحرِ الجليل رأى أخوَين وهما سمعانُ المدعوُّ بطرسُ وأندراوسُ أخوهُ يُلقيانِ شبكةً في البحر (لأنَّهما كانا صيَّادَيْن)* فقال لهما هلمَّ وراءي فأجعلكما صيَّادي الناس* فللوقتِ تركا الشباكَ وتبعاهُ* وجاز من هناك فرأى أخوَينِ آخرَينِ وهما يعقوبُ بنُ زبدى ويوحنا أخوهُ في سفينةٍ مع أبيهما زبدى يُصلِحانِ شباكهما فدعاهما* وللوقتِ تركا السفينةَ وأباهما وتبعاهُ* وكانَ يسوعُ يطوفُ الجليلَ كلَّهُ يعلّمُ في مجامعهم ويكرزُ ببشارةِ الملكوتِ ويشفي كلَّ مرضٍ وكلَّ ضُعفٍ في الشعب.

تأمل

«العاملون بالناموس هم يُبرَّرون» (رو ٢:١٣). إن ما هو مكتوب في الكتب المقدسة لم يكتب للفهم فقط ولكن للتطبيق أيضاً.

ظنّ البعض أن مضمون إلى مسألة في غاية الأهميّة هي حضور الوازع الأخلاقيّ في الذات الإنسانيّة، بصرف النظر عن الشرائع الدينية. وهو يسعى إلى توضيح هذه الفكرة وترسيخها عبر إعطائه الوعي الأخلاقيّ المتأصّل في الطبيعة الإنسانية قيمةً تعادل قيمة الناموس الإلهي الذي منّ به الله على الشعب اليهوديّ. لذا، فإنّ العائش من ضمن الناموس لا يسعه أنّ يعتبر من هم خارج الناموس هالكين لا محالة. فالله يدين البشر جميعاً على قدم المساواة انطلاقاً ممّا أوتوه من وعي أخلاقي، سواء من داخل الناموس أو من خارجه.

على هذا المستوى، نلمح في فكر بولس المعبَّر عنه في هذا المقطع معالم مساواة كاملة بين الناموس الموسويّ والشرعة الأخلاقيّة المزروعة في النفس الإنسانيّة. فهو يحسب أنّ الذين لا ناموس لهم قادرون على أن يعملوا «بالطبيعةِ بما هو في الناموس» (٢:١٤). والذين يتّبعون الشرعة الأخلاقيّة الطبيعية يُظهرون «عملَ الناموسِ مكتوباً في قلوبهم» (٢:١٥). ولا ريب في أنّ بولس يشير هنا إلى ما نقرأه لدى أنبياء العهد القديم أنّ الله في الأزمنة الأخيرة سيكتب شرائعه على قلوب شعبه، لا على الألواح الحجرية: «بل هذا هو العهدُ الذي أقطَعُهُ معَ بيتِ إسرائيلَ بعد تلكَ الأيَّام يقولُ الرَّبُّ، أجعلُ شريعتي في داخِلِهم وأكتُبُها على قلوبهم وأكونُ لهم إلهاً وهم يكونونَ لي شعباً» (إرميا ٣١:٣٣). وتعبّر هذه الإشارة البولسيّة عن مدى إيمان الرسول بأنّ اليهود واليونانيين، أي الوثنيين، إنما يؤلّفون جماعة واحدة، إذ ينسب إلى الوثنيين هنا مضموناً لاهوتياً من العهد القديم يختصّ ببيت إسرائيل، كما يريد الله أن يحقّقه في الأزمنة الأخيرة. فليس غريباً أنّ العهد الجديد اعتبر أنّ نبوءة إرميا هذه تنطبق على الكنيسة التي ألغي فيها جدار العداوة بين اليهود والوثنيين (أف ٢:١٤). وتفصح الآية الأخيرة في المقطع الرسائليّ عن أنّ المرمى الأخير لهذه الوحدة بين الأمميّين واليهود على الصعيد الأخلاقي، سواء من داخل الناموس أو من خارجه، إنّما هو بشارة الرسول بيسوع المسيح. فالله، في اليوم الأخير، سيدين سرائر الناس «في يسوع المسيح»، بحسب الإنجيل الذي بشّر به الرسول.

السؤال الأخير الذي يُطرح هو عن مدى هذه المساواة التي يروّج لها الرسول هنا بين الناموس اليهوديّ والناموس الطبيعيّ من حيث المحتوى. بكلمات أخرى: هل ثمّة مساواة حقيقيّة بين الشريعة الأخلاقيّة الطبيعيّة والناموس اليهوديّ في ما يختص بمحتوى الوصايا؟ الجواب يجب أن يكون بالنفي، إذا أخذنا في الاعتبار كلّ ما يندرج في إطار الناموس اليهوديّ من وصايا تفصيليّة لا تتعلّق بالختان فقط، بل بالمأكل والمشرب والملبس إلخ. بيد أنّ الرسول، وهذا هو الأهم في موقفه من الناموس اليهودي، يرى أنّ كلّ هذه مسائل ثانويّة لا تمثّل فحوى الناموس الحقيقيّ. فجوهر الناموس هو فعل الخير. ووحده التعامل مع الآخرين على هذه القاعدة يبرّرهم أمام الله، لا مجرّد سماع الناموس: «لأنّهُ ليسَ السامعونَ للناموسِ هم أبراراً عندَ اللهِ، بل العاملونَ بالناموس» (٢:١٣). فإذا اعتبرنا أنّ فحوى الناموس الأساسي هو فعل الصلاح، لا تطبيق الوصايا التفصيليّة الكثيرة المتعلّقة بالمأكل والمشرب والملبس وحفظ السبت، لا يسعنا إلاّ الاعتراف بالتساوي الكامل بين الناموس اليهودي والشريعة الأخلاقية

هذه الكتب هو مجموعة من المعاني البسيطة المجردة التي لا علاقة لها بالحياة. فاقتنوها واطلعوا على معانيها دون أن يطبقوا منها شيئاً في حياتهم، فترفعوا بسبب معرفتهم السطحية لها مندفعين نحو شرحها وتفسيرها – مما جعلهم يُمتدحون كثيراً من قبل الذين لم يتذوقوا طعم الفلسفة الإلهية – دون أن يبذلوا أي جهد في تطبيق تعاليم الكتاب المقدس ولا أن يدركوا ماهية العمل الأساسي لذلك الذي يهتم بالكتب المقدسة.

ان مثل هؤلاء الناس يجلبون على أنفسهم الحكم والازدراء من الله ومن الرجال المجاهدين الحسني العبادة. لأنهم اتخذوا معرفة الكتب الإلهية باباً للظهور والتباهي وليس وسيلة لتطبيق تعاليمها. لذلك حُرموا من معرفة الروح القدس الفعالة، وأخذوا يتفاخرون بوجوههم. وليس بقلوبهم. وكانت النتيجة أن انفصلوا عن الكتاب الذي يقول فيهم: «توكّل على الرب بكل قلبك، ولا تترفّع بحكمتك» (أمثال

الطبيعية. فهذه بدورها وظيفتها حضّ البشر على الخير انطلاقاً من الضمير المزروع في النفس الإنسانية. لذا، فإن بولس، في مستهلّ هذه القراءة، يطوّب فاعلي الخير، كائناً ما كانوا وسواء أتوا من اليهوديّة أو من الوثنيّة: «يا إخوة المجد والكرامة والسلام لكلّ من يفعل الخير من اليهود أولاً، ثم من اليونانيين».

الرسول بولس

«... أَهُمْ خُدَّامُ المسيح؟ أَقولُ كمُختَلٍّ العقل، فأنا أفضَلُ. في الأتعابِ أكثرُ، في الضَّرباتِ أوفرُ، في السُّجونِ أكثرُ، في الميتاتِ مراراً كثيرة. من اليهودِ خمسَ مراتٍ قبلتُ أربعينَ جَلدةً إلاّ واحدة. ثلاثَ مرّاتٍ ضُربتُ بالعِصيِّ. مرَّةً رُجِمتُ. ثلاثَ مرّاتٍ انكسَرَتْ بيَ السفينةُ... في تعبٍ وكدٍّ. في أسهارٍ مِراراً كثيرة . في جوعٍ وعَطَش. في أصوامٍ مِراراً كثيرة. في بَردٍ وعُرْيٍ...» (٢كو ١١:٢٣–٢٧).

بهذه الكلمات يصف الرسول بولس الأتعاب التي كابدها أثناء بشارته. هذا الرسول أسس مع الرسول بطرس الكرسي الإنطاكي، ونُعيِّد لهما في ٢٩ حزيران.

علاقة الرسول بولس بإنطاكية وطيدة جداً، فقد اهتم برعاية كنيستها بعدما دعاه الرسول برنابا لذلك (أع ١١:٢٥). وبعد نجاح بشارته هناك «دُعي التلاميذ مسيحيين في إنطاكية أولاً» (أع ١١: ٢٥).

لم يكن الرسول بولس في عداد الرسل الإثني عشر الذين اختارهم الرب أولاً لحمل البشارة، ولم يكن معهم يوم العنصرة. إلا أن الكنيسة أحصته في عداد الرسل ووضعت أيقونته معهم على الأيقونسطاس لأنه أخذ رسوليته مباشرة من المسيح القائم من بين الأموات عبر رؤيا على طريق دمشق (أع ٩ وغلا ١: ١). كما انه يُعتبر «رسول الأمم»، أي المرسل من الرب يسوع لتبشير غير اليهود، وله الفضل في تأسيس الكنائس في أماكن كثيرة من تركيا واليونان وإيطاليا، وكان يعضدها في جهادها أثناء اضطهادات الإمبراطورية الرومانية.

كان بولس يهودي المولد من سبط بنيامين، وقد أسماه والداه شاول (أي مطلوب بالعبرية) ربما تيمنّاً بشاول أول ملك على إسرائيل والأوحد من سبط بنيامين. ولد في طرسوس في ولاية كيليكية من أعمال الإمبراطورية الرومانية، ونال المواطنيّة الرومانية بالولادة هناك (أع ٢٢:٢٥–٢٩)، وحمل اسم بولس (إلى جانب شاول) الذي يعني الصغير رغم انتمائه إلى عائلة شريفة تعلّم صناعة الخيم لكي يلجأ إلى الإكتساب منها إذا احتاج. يقول عن نفسه «فريسي ابن فريسي» (أع ٢٣: ٦). درس الشريعة في صغره في طرسوس، ثم أرسله والده وهو شاب صغير إلى أورشليم ليتربى «في هذه المدينة مؤدَّباً عند رجلي غمالائيل على تحقيق الناموس الأبوي» (أع ٢٢: ٣). وكان غمالائيل من أشهر معلّمي الناموس ومفسّريه مما ساهم في توسيع معرفة بولس للكتاب المقدس، فكان هذا سنداً كبيراً له، بعد اهتدائه إلى المسيحية، في بشارته بين الأمم واليهود.

مع بدء انطلاق البشارة المسيحية بعد العنصرة، كان شاول / بولس على رأس الذين اضطهدوا الكنيسة الناشئة، لا بل فاق جميع أترابه «غيرة» في تقليدات آبائه، وعمل على اتلاف الكنيسة حسبما يؤكد هو (غلا ١:١٣–١٤). والذين رجموا استفانوس أول الشهداء في أورشليم وضعوا ثيابهم عند قدمي شاول (أع ٧:٥٨). لكن الرب شاء بنعمته أمراً آخر لشاول. فبينما هو ذاهب إلى دمشق حاملاً رسائل من رئيس كهنة أورشليم لاضطهاد المؤمنين، «بغتةً

٥:٣).

إحذر أن ترتفع بقلبك بداعي تفسيرك للمعاني الكتابيّة لئلا يسقط ذهنك في خطيئة التجديف. عندما تقرأ الكتاب المقدس حاول أن تدرك أسراره، لأن كل ما كُتب من قبل إنما كُتب لتعليمنا (رو ١٥:٤). اقرأ الأقوال من منظار تطبيقها ولا تتمادَ متوسعاً بشرح معانيها بروح منتفخة.

إن من يترك الناحية التطبيقية للكتاب ويستند على المعرفة العادية يمسك بيده قصبة بدل سيف ذي حدّين. هذه القصبة، حسب الكتاب، ستنشب في كفّه وتثقبه وتسمّمه أثناء الحرب. لأن طبيعة القصب فيها سمّ.

إن الذين يتباهون بجهاداتهم أمام المتهاونين مدّعين ومعتقدين أنهم يبرّرون بالأعمال الجسدية لا شك انهم أكثر جهلاً منهم.

إن المعرفة دون الأعمال المطابقة لها ليست أكيدة، وإن كانت حقيقية لأن العمل هو الذي يثّبت كل رأي. فإهمال العمل كثيراً ما يُظلم المعرفة. لهذا فالذين انحرفت أعمالهم عن الطريق الصالح تتعطل ذكرياتهم إلى حدٍ ما.

القديس غريغوريوس بالاماس

أبرق حولهُ نورٌ من السماءِ. فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلاً له شاول لماذا تضطهدني» (أع ٩:٣-٤)، فعلم انه المسيح «فنهض شاول عن الأرض وكان وهو مفتوح العينين لا يبصر أحداً» (أع ٩:٨). اقتيد إلى دمشق حيث وافاه الرسول حنانيا مكلّفاً من الرب يسوع لكي يعمّده. خاف حنانيا في البدء من بولس، لكن الرب قال له: «اذهب، لأن هذا لي إناءٌ مختار ليحمل اسمي أمام أمم وملوك وبني إسرائيل» (أع ٩:١٥).

بقي بولس في دمشق ثلاث سنوات يبشر ولما ازداد عدد المؤمنين تشاور اليهود ليقتلوه «فأخذه التلاميذ ليلاً وأنزلوهُ من السور مُدلّين إياه في سلّ» (أع ٩:٢٥). عاد إلى أورشليم إنما هذه المرة ليشهد ليسوع لا ليقتل أتباعه. خاف التلاميذ منه أولاً لكنهم وثقوا به لاحقاً وصار يجاهر معهم باسم الرب يسوع مما عرّضه للمؤامرة مجدداً، فهرب إلى قيصرية ومنها إلى طرسوس مسقط رأسه. بقي هناك إلى أن استدعاه الرسول برنابا لمعاونته في تبشير الأمميين الوثنيين في إنطاكية (أع ١١:٢٥). وعندما ضربت المجاعة أورشليم حمل بولس وبرنابا المساعدات من أهل إنطاكية إلى أهل المدينة المقدسة.

عاد بولس إلى إنطاكية ومنها انطلق في رحلات تبشيرية ثلاث إلى قبرص وأيقونية ولسترة ودربة وغلاطية وترواس وفيليبي وتسالونيكي وبيرية وأثينا وكورنثوس. وكان يؤسس الكنائس ويعود لافتقادها أو كتابة الرسائل للمؤمنين فيها لتشديدهم ولتقويم الاعوجاجات لديهم. وفي الأخير عاد إلى أورشليم حيث تعرض لمؤامرة كبيرة أجبرته على طلب المحاكمة لدى قيصر في روما (أع ١١:٢٥) كونه مواطنًا رومانياً. في الطريق إلى روما تعرضت السفينة لرياح شديدة حطمتها ونجا الجميع بصلاة الرسول بولس. ولما وصلوا إلى روما «أقام بولس سنتين كاملتين في بيت استأجره لنفسه، وكان يقبل جميع الذين يدخلون إليه كارزاً بملكوت الله ومعلماً بأمر الرب يسوع المسيح بكل مجاهرةٍ بلا مانع» (أع ٢٨: ٣٠-٣١).

بقي بولس في روما إلى أن استشهد عام ٦٤ أو ٦٧. ويقول المؤرخ يوسيبيوس أسقف قيصرية ان بولس استشهد على عهد نيرون، ويؤكد ترتليانوس انه قتل هناك بقطع الرأس.

جناز الكهنة

جرياً على التقليد السنوي يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة القداس الإلهي لراحة نفس كافة الإكليريكيين الذين خدموا أبرشية بيروت وتوابعها، عند العاشرة من صباح السبت ١ تموز ٢٠٠٦ في كاتدرائية القديس جاورجيوس في ساحة النجمة.

حلقة دراسية

ببركة سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس، يستمر التسجيل للحلقة الدراسية المكثفة حول الكتاب المقدس: إنجيل متى والرسالة إلى أهل كولوسي، والتي يديرها قدس الأب بولس طرزي، أستاذ الكتاب المقدس في معهد القديس فلاديمير في نيويورك. تمتد الحلقة من ٢٤ إلى ٢٨ تموز، ما بين الساعة الرابعة بعد الظهر والثامنة والنصف مساءً، وذلك في قاعة ناديا تويني في مدرسة زهرة الاحسان. للمراجعة والتسجيل الرجاء الاتصال بالرقم ٠١/٣٣٤٠٨٦.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb